

تمثيلات النقد الثقافي في رواية أصابع لوليتا لواسيني الأعرج
دراسة في النماذج الإنسانية

Representations of Cultural Criticism in Lolita's Fingers by Wassini Al-A'raj: A Critical Inquiry into Human Archetypes"

هالة شحات ^{1*}، أمين الزاوي ²

¹ ، الجزائر 2 ، الجزائر ، Hala.chahat@univ-alger2.dz

مخبر الترجمة والمصطلح

² أبو القاسم سعد الله الجزائر 2 ، الجزائر ، aminzaoui@yahoo.fr

تاريخ الاستلام : 2025/03/04 تاريخ القبول: 2025/05/14 تاريخ النشر: 2025/06/02

ملخص:

تعنى هذه الدراسة بإبراز دور النماذج الإنسانية في الأدب وهذا من خلال إجراء تحليل نقدي لرواية أصابع لوليتا لصاحبها الكاتب الجزائري واسيني الأعرج، هذا الأخير الذي لم يتوان قط في أعماله الروائية عن استثمار النماذج الإنسانية العالمية ، وتحويلها إلى أداة لكشف وتفكيك البنى الفكرية والسلطوية الكامنة في المجتمع المعاصر ، موضحا بذلك مدى عمق وأهمية العلاقة القائمة بين الأدب والنقد الثقافي.

وعليه فقد جاءت هذه الدراسة لتؤكد بأن النماذج الإنسانية في الأدب لا تقتصر على كونها مجرد شخصيات روائية، بل تمثل أيضا بنى رمزية تعكس أنساقا فكرية وثقافية، تتيح للأديب إعادة إنتاج المعاني بوعي نقدي ، وكذا إحداث قطيعة مع الأنساق السلطوية والتقليدية المضمرة في الخطابات السائدة، وهذا ضمن سياق الإجابة عن الإشكالية الأتية : مامدى حضور وفعالية النماذج الإنسانية في كتابات واسيني الأعرج، وبالأخص في رواية أصابع لوليتا؟ وكيف تجلت علاقتها بالنقد الثقافي ؟

كلمات مفتاحية: النماذج الإنسانية، النقد الثقافي، تفكيك الخطاب، السرد، الأدب العالمي.

Abstract:

This study explores the role of human models in Lolita's Fingers by Wassini Al-A'raj as symbolic structures that deconstruct dominant discourses and expose hidden power dynamics. Rather than mere fictional characters, these models reshape meanings and critically engage with ideological constructs. The research also highlights how narrative techniques challenge authority and reshape historical and social awareness. By examining the extent to which human models in Al-A'raj's work contribute to dismantling power structures, this study offers new insights into literature's cultural and intellectual impact.

Keywords: human models; cultural criticism; power structures; narrative techniques; Wassini Al-A'raj.

1. مقدمة:

لطالما شكل انفتاح الأديب وتفاعله مع أعمال غيره من الأدباء و المبدعين من مختلف أنحاء العالم علامة فارقة في مساره الأدبي، فالتفاعل القائم بين الأدباء من مختلف الجنسيات كان وما يزال يعد بمثابة خطوة نجاح وارتقاء للعديد من الأجيال المبدعة في مجال الأدب، ولئن كان لهذا الانفتاح حدود وضوابط وأشكال عدة، فإن النماذج الإنسانية في مجال الأدب واحدة من بين أبرز هذه الأشكال التي عبرت عن قيمته و دوره الفعال في خلق روائع الأدب العالمي؛ ولذا فهي تعتبر مبحثا هاما من مباحث الأدب المقارن، فالأدب الذي احتفى فيه أصحابه بتوظيف هاته النماذج على اختلاف أنماطها و مصادرها، هو بلا شك أدب جدير بالاهتمام والدراسة فضلا عن استحقاقه الكبير للعالمية والخلود، كما أن الكاتب القادر على خلق أو توظيف مثل هذه النماذج المؤثرة وغير القابلة للنسيان في ذهن القارئ، هو كاتب مبدع فعلا، فالكثير من الأدباء لم تخلد أسماؤهم في التاريخ الأدبي إلا بفضل نماذجهم الإنسانية، التي بلغت من الشهرة حدًا جعلها موضع محاكاة في أعمال غيرهم.

وهي على هذا لاتعد مكونا أساسيا في الخطاب السردي فحسب بل الوجه الإبداعي فيه أيضا، كونها من العناصر التي تسهم في إظهار مدى قدرة الكاتب على استثمارها و توظيفها بشكل يتواءم و ملامح مجتمعه وثقافته، بالنظر الى كونها من أبرز العناصر الفنية التي تنتقل من أدب قومي إلى آخر في سياق ما يعرف في الدرس المقارن بالتفاعل بين الآداب المختلفة، ولأن الأدب الجزائري لم يكن بمنأى عن هكذا تفاعلات، فإننا قد ارتأينا أن نسلط الضوء في هذه الدراسة على كتابات الروائي الجزائري البارز واسيني

الأعرج ، بغية الكشف عن مدى حضور هذه النماذج الإنسانية في أعماله من جهة، و التحقق من قدرة هذا الأديب على استثمارها من جهة ثانية .

وتبعاً لذلك، فإن دراسة النماذج الإنسانية في أعمال واسيني الأعرج لا ينبغي أن يقتصر على تحليل ملامحها السردية فقط، وإنما يجب تجاوز ذلك إلى الكشف عن تمثيلات النقد الثقافي داخل النص الروائي ، ذلك أن هذه النماذج لا تأتي محايدة، بل تعكس تحولات المجتمع وتوتراته، وتُجسد البنى السلطوية التي تتحكم في الأفراد، سواء عبر الجسد، اللغة، أو السلطة الأبوية والسياسية.

وقد انطلقت هذه الدراسة من إشكالية أساسية مفادها: إلى أي مدى يمكن اعتبار النماذج الإنسانية في رواية أصابع لوليتا وسيطاً نقدياً للكشف عن البنى الفكرية والسلطوية المضمرّة في الخطاب الأدبي؟ وكيف ساهم توظيفها في تفكيك التمثيلات الثقافية وإعادة مساءلة السرد الروائي في ضوء النقد الثقافي؟

وعلى هذا فإن هذه الدراسة لا تتوقف عند حدود تحليل الشخصيات، بل تتجاوزه لتسلط الضوء أيضاً على كيفية استثمار السرد في تفكيك الخطابات السائدة وإعادة إنتاج الدلالات الثقافية بوعي نقدي، وهذا يفتح آفاقاً جديدة للبحث في العلاقة بين الأدب والنقد الثقافي.

2. النماذج الإنسانية: مفهوما ، أنواعها وأهميتها :

1.2 مفهوم النماذج الإنسانية:

إن أول ما تجدر الإشارة إليه قبل التطرق إلى مفهوم النماذج الإنسانية ، هو تعدد التسميات المستخدمة لوصف هذا المفهوم، من مثل : "النماذج الأدبية"، "النماذج الإنسانية"، و"النماذج الفنية" و "النماذج البشرية" وهو تعدد لا يعكس ذلك التجاهل التام لمسألة توحيد المصطلح بين الدارسين فحسب ، بل إنه يطرح إلى جانب ذلك مشكلة تتعلق بتفسيره وفهمه ، فالخطأ هذا قد أدى بدوره إلى تجاهل الفروق الدقيقة بين هذه

المصطلحات ، خاصة ذلك الذي نلمسه حينما نرى ربطاً غير مبرر بين مفهوم الشخصية الأدبية المختلف تماماً عن مفهوم النماذج الإنسانية .

إذ يقصد بالشخصية الأدبية كما يعرفها رولان بارت Roland Barthes : "كائنات من ورق تتخذ شكلاً دالاً من خلال اللغة" (1) وهو تعريف نفهم من خلاله بأن الشخصيات الأدبية ليست انعكاساً مباشراً للواقع، وإنما هي بناءً لغوي يخضع لرؤية الكاتب وسياقاته السردية، فهي تمتاز بكونها فردية ومحددة المعالم تتطور داخل النص وفقاً لمتطلبات الحكمة، لكنها ليست بالضرورة معبرة عن قضايا إنسانية كبرى، فهي تخدم السرد فقط دون أن تحمل دلالة رمزية تتجاوز إطار العمل الأدبي نفسه.

أما "النموذج"، فهو ليس مجرد شخصية داخل النص، بل هو تجريد يتجاوز فردية الشخصية ليجسد قيمة إنسانية أو تجربة اجتماعية أو صراعاً فلسفياً متكرراً، أي أن النموذج يتخذ طابعاً رمزياً يعكس قضايا وأفكاراً تمتد عبر الزمن والمكان، مما يجعله أداة للتعبير عن أنماط بشرية متكررة في التاريخ الإنساني.

وهذا التمييز بين المفهومين يظهر لنا بأن كل نموذج يمكن أن يكون شخصية أدبية، لكن ليست كل شخصية أدبية تصل إلى مستوى النموذج فمثلاً، "هاملت" في مسرحية شكسبير William Shakespeare، هو شخصية أدبية لها سماتها الخاصة وسلوكها المعقد، وهي على هذا تجسد في الوقت نفسه "نموذج البطل التراجيدي"، الذي يتكرر في الأدب من خلال شخصيات مثل أوديب أو ماكبث، لكن شخصية "مورس" في رواية الغريب لألبير كامو Albert Camus مثلاً ؛ لا تمثل نموذجاً أدبياً عاماً، إذ تظل فردية ترتبط بسياقها الفلسفي والوجودي دون أن تصبح نمطاً متكرراً في الأعمال الأدبية.

وبذلك، فإن الشخصية الأدبية فردية ومحددة داخل العمل الأدبي، في حين أن النماذج الأدبية تتجاوز البعد الفردي للشخصية الأدبية، لتصبح كياناً أكثر شمولاً، يعكس أنماطاً إنسانية متكررة في الواقع والتاريخ.

فهي وكما يعرفها سيف محمد سعيد المحروقي بقوله: "النموذج الأدبي في غالب الأحيان عبارة عن تعميم لمسات كثير من الناس مجتمعة في شخصية إنسان واحد" (2) فالنموذج الأدبي لا يمثل شخصاً بعينه، بل هو تجسيد لمجموعة من الصفات والخصائص التي تميز فئة معينة من البشر، بحيث تصبح الشخصية داخل العمل الأدبي مرآة تعكس تجربة إنسانية عامة، وهذا ما يؤكد الأديب أحمد رضا حوحو بقوله إن النماذج البشرية هي: "عرض وتصوير مجموعة من الطباع البشرية، في مجموعة من البشر منتقاة من صميم المجتمع" (3)

وعليه، يمكن القول إن الفرق الجوهرى بين الشخصية الأدبية والنموذج الأدبي يكمن في مستوى التخصيص والتعميم: فالشخصية الأدبية كيان سردي فردي له سياقه الخاص، كبينما النموذج الأدبي هو شخصية تتجاوز فرديتها لتعبر عن رؤية أوسع، تتصل بالإنسان والمجتمع بشكل عام.

ولئن كان السبب في تعدد التسميات راجعاً إلى اختلاف زوايا النظر إلى هذا العنصر السردى، حيث يربطها البعض بالأدب وحده فيطلقون عليها "النماذج الأدبية"، بينما يركز آخرون على أساليب تشكيلها الفنية فيسمونها "النماذج الفنية"، في حين ينظر إليها فريق ثالث من منظور سلوكي واجتماعي فيطلقون عليها "النماذج البشرية"، فإن التسمية الأكثر دقة وشمولاً في تقديرنا، هي "النماذج الإنسانية".

فهذه التسمية لا تحصرها في نطاق الأدب أو الفن فحسب، وإنما تعكس جوهرها الكونى الذي يجعلها تجسيدا لتجارب إنسانية خالدة، تتكرر عبر العصور والثقافات، و

تمنحها بعداً رمزياً يتجاوز حدود النصوص الفردية لتبلغ عمق المشترك الإنساني، حيث تتلاقى الذوات رغم اختلاف الأزمنة والأمكنة.

وهي التسمية التي ارتأينا بأنها الأنسب لاعتمادها في هذه الدراسة ؛ كونها تتقاطع إلى حد كبير مع اهتمامات الأدب المقارن ، باعتباره : " رسالة إنسانية تكشف عن أصالة الروح القومية في صلتها بالروح الإنسانية العامة في ماضيها وحاضرها " (4) وبهذا تعرف النماذج الإنسانية بكونها : " الصورة التي يعطيها الكاتب لشخصية من شخصيات عمله الأدبي تتمثل فيها مجموعة من الفضائل أو الرذائل أو من العواطف المختلفة التي كانت من قبل في عالم التجريد ، أو متفرقة في مختلف الأشخاص " (5) وبذلك تتحول النماذج الإنسانية في الأدب إلى أداة تعبيرية تعكس قضايا إنسانية أو اجتماعية وتجسد أفكار الكاتب بشكل رمزي .

وهي على هذا تمثل : " الآلية التي يرسم بها الكاتب صورة نموذجية متكاملة الأبعاد الإنسانية لشخصيات أدبية تتجسد فيها جملة من الفضائل أو النقائص " (6) ، وهذا ما يبرز قوة الأدب في تجاوز الحدود بين الخيال والواقع وربط القارئ بشخصيات تعبر عن إنسانيته وتجربته الحياتية.

2.2 أنواعها :

تنقسم النماذج الإنسانية إلى نوعين أساسيين :

1. نماذج عامة أو سلوكية، وهي تلك التي تنبع من رحم الواقع، وتعكس أنماطاً سلوكية مألوفة، مثل التاجر الحذق، والراهب الزاهد، والمومس الفاضلة، وهي نماذج تتوارثها النصوص عبر العصور، محملة بدلالاتها الاجتماعية والأخلاقية، فتظهر في مختلف الحقب الأدبية كصور تعكس طبيعة المجتمع وقيمه.

2. نماذج خاصة، وهي التي تستمد وجودها من الخيال الجمعي والأسطوري تارة، ومن النص الديني والتاريخي تارة أخرى، مثل أوديب وجلجامش، اللذين أصبحا رموزاً لصراع الإنسان مع مصيره، أو النبي يوسف عليه السلام، الذي جسّد الصبر والحكمة، فاستلهمه الأدباء في حكاياتهم، كما تشمل هذه الفئة الشخصيات التاريخية التي تحولت إلى رموز متجددة في الأدب، ككليوباترا التي سحرت القادة والمؤرخين، فغدت أسطورة خالدة. (7)

3.2 أهميتها:

مما لا ريب فيه أن توظيف النماذج الإنسانية في الأعمال الأدبية كان وما يزال يلعب دوراً هاماً في حركية الإبداع والإنتاج الأدبي، حيث: " نجد أن أغلب الأعمال الأدبية العربية التي اشتركت مع غيرها من آداب العالم في توظيف هذه النماذج، كانت لها بعض الخصوصية، بحيث استطاعت أن تعالج قضايا إنسانية مشتركة، وتفتح نافذة على آداب أخرى، وتشارك هذه الآداب في نظرتها لبعض المسائل البشرية بغض النظر عن اتفاقها أو اختلافها في المسعى أو التوجه " (8)، وبالتالي فإنها لم تكن مجرد عنصر أدبي بل أداة فاعلة في مد جسور التفاهم الثقافي وإبراز القيم الإنسانية المشتركة التي تتجاوز حدود الزمان والمكان.

وعلى هذا يصح لنا القول بأن حضور وتوظيف النماذج الإنسانية في مختلف الآداب العالمية ينطوي على أهمية بالغة في: " حركة التبادلات الثقافية والفكرية بين مختلف الإبداعات الإنسانية، مما يولد انطباعاتاً أكيدة، أن الأدب هو حالة إنسانية شاملة لا تقف عند حدود القومية بمفهومها الضيق، إنما تتجاوزها للعالمية أو الكونية " (9)

فضلاً عن ذلك فهي تتجاوز كونها مجرد عناصر سردية إلى كونها أدوات فعالة في ممارسة النقد الثقافي، إذ تتيح إمكانية تفكيك البنى الفكرية والسلطوية المضمرّة داخل

النصوص الأدبية، مما يجعلها وسيلة لتحليل الخطابات المهيمنة وكشف آليات الهيمنة والتمهيش، وبهذا فإنها تسهم في إعادة تشكيل الوعي النقدي، إذ تُمكن القارئ من مساءلة الخطابات السائدة وفهم ديناميات الصراع الثقافي والتاريخي التي تحكم الأدب والمجتمع على حد سواء، ومنه فإن حضورها في النصوص الأدبية لا يُعد مجرد بناء فني، بل يُمثل خطابًا نقديًا يُسائل القيم والسلطويات الثقافية، ويفتح المجال أمام تأويلات متعددة تواكب التحولات الفكرية والإنسانية.

3. توظيف النماذج الإنسانية في أعمال واسيني الأعرج وأثرها في ارتقاء إبداعاته الأدبية:

يعد الروائي الجزائري واسيني الأعرج واحدًا من أبرز الأصوات الأدبية في العالم العربي، حيث تميز بأسلوبه الفريد وقدرته المميزة على استحضار و دمج الثقافات المتنوعة في أعماله فانفتاحه الفكري والثقافي، هو ما جعل منه شخصية استثنائية في الأدب المعاصر.

إذ لطالما شكلت الثقافة على اتساع حدودها ومفاهيمها مادة خصبة لسبر أغوار تجاربه الأدبية وبخاصة الروائية ، و التي أكد في كثير من المواطن قدرتها العالية على استيعاب مختلف الثقافات واللغات ، كما نلمس ذلك في قوله إن: "الرواية تفتح أذرعها لكل الرياح والثقافات واللغات" (10)

وهو ما يظهر بوضوح في أعماله الروائية ، و التي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : رواية "نساء كازانوف" التي برز فيها نموذج كازانوف الذي جسّد من خلاله صورة الإنسان المغامر الباحث عن اللذة والمعرفة في آنٍ واحد، متناولًا تعقيدات النفس البشرية ورغباتها المتناقضة، أو نموذج إيزيس الأسطوري، الذي عبر من خلاله عن معاناة الكاتبة

مي زيادة، مسلطاً الضوء على رمزية الأنثى المستتيرة التي تواجه قيود المجتمع وتحدياته في رواية أسماها "مي: ليالي إيزيس كوبا"، وكذلك نموذج حيزيا، التي استلهمها من التراث الشعبي الجزائري، مجسداً ملامح الحب المأساوي في سياق ثقافي يعكس التقاليد والمعتقدات المحلية في روايته الموسومة "حيزيا زفرة الغزالة الذبيحة".

دون أن ننسى روايته الأمير، التي وظف فيها النموذج التاريخي الأمير عبد القادر الجزائري، مبرراً نضاله في سبيل الحرية وقيمه الفكرية والإنسانية التي تجاوزت حدود الزمان والمكان، ولعل ذلك هو السبب في جعل هذه الأخيرة من أكثر رواياته انتشاراً في الساحة الأدبية لما تمتاز به من مقومات فنية وجمالية على مستوى الشكل والمضمون، مما جعلها محط أنظار النقاد والباحثين⁽¹¹⁾، الذين رأوا فيها تجسيداً متقناً للحوار بين التاريخ والسردي الأدبي.

وكذا فإنه ومن خلال هذا التوظيف المتكرر للنماذج الإنسانية، استطاع واسيني الأعرج أن يرتقي برواياته إلى مستوى العالمية، ولأن التجريب، بما هو: "تدمير [سلطة] السائد والمألوف الفني ثقافياً واجتماعياً، بالبحث عن إجابات جديدة غير تلك التي جفت وكَلَّت" (12)، يشكل جوهر مشروعه الإبداعي، فقد أصبح التحرر من القوالب التقليدية والانفتاح على أشكال سردية متعددة سمة أساسية في أعماله.

فهو لا يكتفي بإعادة إنتاج الحكايات، بل يعيد تشكيلها وفق رؤى جديدة تتجاوز حدود الزمان والمكان، مستفيداً من تداخل الأجناس الأدبية والتقنيات السينمائية والمسرحية، وهذا التوجه لم يكن مجرد خيار فني، بل ضرورة أملت لها علبه طبيعة مشروعه الروائي، الذي يسعى إلى إعادة تعريف العلاقة بين السرد والواقع، متجاوزاً الخطابات المستهلكة نحو رؤى أكثر عمقاً وتعقيداً. فهو لا يكتب لمجرد الحكى، بل يعيد مساءلة التاريخ والهوية والانتماء، مستكشفاً الهواجس الإنسانية المشتركة في سياقات ثقافية متباينة.

لتغدو أعماله بذلك فضاءً للتجريب المستمر، حيث تتقاطع الأزمنة وتتشابك الذوات السردية، مما يجعلها قادرة على محاورة القارئ العالمي، ويعزز من حضورها في المشهد الأدبي الدولي، ليس بوصفها نصوصاً محلية، بل كأدب عابر للحدود، ينبض بروح التجديد والانفتاح.

1.3 توظيف النماذج الإنسانية في رواية أصابع لوليتا:

أ/ لوليتا :

تعد شخصية لوليتا واحدة من بين الشخصيات الأدبية الشهيرة في الأدب العالمي فمنذ أن بدأت رحلتها الأدبية في رواية "لوليتا" للكاتب الروسي فلاديمير نابوكوف Vladimir Nabokov، كشخصية رئيسية تدعى "دولوريس" استطاعت هذه الأخيرة أن تتحول بفضل ما عبرت عنه من تعقيدات وأبعاد متداخلة ومتناقضة في آن، تراوحت بين البراءة والاستغلال وبين العفوية والخبث؛ إلى نموذج إنساني سلوكي خالد في ذاكرة القراء والدارسين .

تبناه الأدباء والمبدعين من جنسيات مختلفة وأعادوا تشكيله وتوظيفه في سياقاتهم الثقافية الخاصة؛ نذكر من بينهم الروائي واسيني الأعرج، هذا الأخير الذي لم يكن بمنأى عن توظيفه في روايته الموسومة أصابع لوليتا (2012)، التي أظهرت فهمه العميق للتحويلات التي تفرضها الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية والتاريخية بصفة خاصة على سيرورة الإبداع الأدبي، فعلى الرغم من ذلك التشابه الظاهر بين دولوريس نابوكوف ونوه واسيني الأعرج المتعلق أساساً بتلك الطبيعة المزدوجة التي توصف في عمل نابوكوف على أنها طبيعة ذات شقين: "فهي ليست طفلة وهي ليست امرأة إنما هي مزيج من براءة الطفولة في تسهب الملامح وعهر العاهرات في الحركات (13) وهي الطبيعة

التي نجدها قريبة إلى حد كبير من طبيعة لوليتا واسيني الأعرج ، كما يتضح لنا من خلال المقطع الآتي : " لوليتا كما سماها ، شابة مبهرة الجمال ولكن يبدو أنها لم تخرج من مرافقتها ، تبحث عن أب وعن حماية أكثر مما تبحث عن عشيق " (14)

إلا أن واسيني الأعرج يؤكد و منذ الصفحات الأولى في روايته أن توظيفه لهذا النموذج البشري لم يكن مجرد نوع من التأثير السالب الذي تحدثت عنه المدرسة الفرنسية للأدب المقارن سابقا ، إنما هو توظيف كان الغرض منه إعادة إحياء وموائمة هذا النموذج الإنساني وفقا لمقتضيات واقعه العربي والجزائري بشكل خاص ، وكذا تشكيل أبعاده تبعا للاختلافات والمستجدات الطارئة في عصره و مجتمعه .

ولعل المقطع النصي الآتي والذي يظهر فيه انطباع (إيفا) الأول بعد مقابلة نوه أو لوليتا يوضح لنا كيف أن الكاتب واسيني الأعرج كان حريصا على تقديم نموذج لوليتا إلى القارئ في صورة جديدة ومغايرة حيث يقول على لسان شخصيته إيفا : "تريد رأيي بصدق؟ لوليتا لم تكن بهذا البهاء ، ولا بهذه الدهشة ،حتى أنها كانت أحيانا رثة ودون العادي ،بل وغبية نقول أي كلام ". (15)

فمن خلال هذا المقطع ، يضعنا واسيني الأعرج مباشرة أمام نموذجين إنسانيين للمرأة: الأول يمثل المرأة التقليدية التي خضعت لمنظومة السلطة الأبوية وظلت مكبلة بالتصورات النمطية وهو نموذج لوليتا نابكوف ، أما الثاني فهو نموذج للمرأة في العصر المعاصر ، التي تسعى لكسر هذه القيود وإعادة تعريف موقعها في المجتمع وهو نموذج لوليتا واسيني ، فمن خلال هذا التقابل ، يعكس الروائي وعياً ونضجاً فكرياً لم يكن من المتاح التعبير عنهما من قبل ، حيث يبرز كيف تتشكل الذات الأنثوية داخل بنى الهيمنة الثقافية ، وكيف تسهم الخطابات السائدة في تكريس القمع وإعادة إنتاجه ، وهنا يتقاطع النص مع مقولات النقد الثقافي التي ترى في الأدب ساحةً لتفكيك أنماط التمثيل التقليدية ، وفضح آليات السيطرة التي

تمارسها المؤسسات الاجتماعية والسياسية على الأفراد، ولا سيما النساء، في سياق ثقافي يحاول ضبط أجسادهن وسلوكياتهن وفق معايير محددة.

و لئن كان صوت دولوريس أو لوليتا نابوكوف مغيبا في الرواية ، إلى الحد الذي جعلها تبدو في نظر القارئ كفتاة لعوب و استغلالية رغم كونها مجرد ضحية كما يظهرها وصف همبرت في هذا المقطع : " تلك المراهقة القاسية القلب المختالة الماكرة الغدارة في كل شؤون الحياة " (16)

فإن نوة أو لوليتا واسيني الأعرج قد منحت ومنذ ظهورها الأول في أسطر الرواية حقها في التعبير بنفسها عن ذلك الاستغلال والتجاوزات الذي تعرضت لها من قبل أفراد أسرته والدها وأخيها ، وهي لفئة مهمة نستشف من خلالها تلك التحولات التي آلت إلى حقوق المرأة في العقود الأخيرة ، بالنظر إلى مساهمات الحركات النسوية خلال تلك الفترة.

ولعل توظيف واسيني الأعرج لهذا النموذج لم يكن مجرد استعادة تقليدية لصورة الضحية، بل جاء ليكشف مدى تأثير البنى الثقافية والسلطوية على تشكيل الهويات وقمع الأفراد خصوصاً النساء، ضمن سياقات معقدة من الاستغلال الاجتماعي والجندري، ففي أصابع لوليتا، لا تُقدّم نوة بوصفها مجرد ضحية مستسلمة لمصيرها، وإنما كنموذج نقدي يعكس أشكال المقاومة الثقافية التي تتحدى الخطابات المهيمنة.

إن تشابه نوه مع لوليتا نابوكوف لا يقتصر على كونها ضحية لصراع أكبر، بل يكشف عن كيفية إعادة إنتاج هذه النماذج داخل منظومات السلطة، حيث تتحول المرأة إلى موضوع للرغبة والسيطرة في آن واحد ، من هنا يصبح وعي نوه بذاتها ورفضها المطلق

للافتقاد يجعلانها تجسيدا للنقد الثقافي في صورته الأكثر تعقيدا؛ فهي ليست فقط انعكاسا للاضطهاد بل أيضا تفكيكا له.

كما يتضح ذلك في المقطع النصي الآتي "علاقتها بوالدها سيئة، لا أعرف إلا بعض تفاصيلها، ولكنها قاسية جدا، فقد رفعت قضية ضده لدى القضاء الفرنسي وهو مطالب بتقديم تفسيرات عن أفعاله المريضة، ربما كان الاغتصاب والتعدي على قاصر" (17) ومنه يمكننا قراءة شخصية نوه ضمن إطار النقد الثقافي باعتبارها نموذجًا لتقاطع الهويات المهمشة، حيث تتقاطع النزعة النسوية مع الجندرية في إعادة إنتاج علاقات القوة، فالرواية لا تكتفي بإبراز موقع المرأة داخل الخطاب الأبوي، بل تسائل أيضًا البنى الخطابية التي تصنع وتكرس الهيمنة الثقافية، وبالتالي فواسيني الأعرج يثبت من خلال توظيفه لهذا النموذج بأن النماذج الإنسانية يمكنها أن تلعب دورا استراتيجيا في تفكيك الأنساق الثقافية التي تستند إلى الإقصاء التام لحقوق المرأة.

ب/ ماجدالينا (المومس الفاضلة):

يُعتبر نموذج "البغي الفاضلة" واحدا من بين أكثر النماذج الإنسانية السلوكية التي تكررت عبر العصور في الأعمال الأدبية العالمية، حيث ألهم هذا النموذج المرتبط في الأساس بقصة مريم المجدلية؛ أجيالا عديدة من الكتاب حول العالم.

نخص بالذكر منهم هنا واسيني الأعرج، الذي قدم لنا هذا النموذج مجسدا في شخصية امرأة شابة وهي واحدة من بين النساء اللواتي قادتتهن خيانة الرجل الذي أحبين إلى الانحدار إلى عالم البغاء؛ كما يظهر ذلك من خلال هذا المقطع النصي: "كل اللواتي هنا يحملن على ظهرهن خيبة رجل تافه لم يكن قادرا على الدفاع عن حبه حتى النهاية". (18)

وكانَ توظيف واسيني الأعرج لهذا النموذج إنما جاء ليكشف الغطاء عن تلك التجاوزات التي تتعرض إليها النساء في المجتمعات العربية المعاصرة ، من قبل السفهاء الذين يدعون الاستقامة ظاهرياً ، دافعين بالمرأة إلى الهامش الاجتماعي .

يعبر عن ذلك أيضاً المقطع النصي الآتي : "وقل إن مهبولة كانت ضائعة على حافة طريق الحياة ، قالت هذا ، لم تكن حكيمة ، كانت أقل من امرأة في عرف السفهاء الذين لا يعرفون شيئاً عن المرأة إلا ثقباً تضعه تحت تصرفهم عند الحاجة ينهشونه، بينما تصطف هي مع الملائكة وتتأمل المشهد وكان الأمر لايعنيها مطلقاً (19).

من منظور النقد الثقافي، فإن هذه الصورة لا تقتصر على فضح واقع النفاق داخل المجتمعات العربية الإسلامية منها بشكل خاص ، بل إنها تقضح أيضاً ذلك الخطاب السلطوي المتجذر في البنية الاجتماعية، حيث يتم تصنيف النساء ضمن ثنائية خانقة: إما الطهر المطلق أو السقوط المدنس ، وفي كلا الحالتين تبقى المرأة خاضعة لنظرة المجتمع الذكوري الذي يحدد قيمتها ووظيفتها وفقاً لمعايير لا تملك فيها أي سلطة تقرير ذاتي.

لكن ما يميز نموذج ما جدوليننا هو أنها، و رغم كونها ضحية لهذا النظام، ليست مجرد كيان مستسلم للاضطهاد، فسردها لهذه الوقائع بهذا الثبات يشير إلى لحظة وعي نقدي تشكلت لدى المرأة المعاصرة ، حيث باتت على استعداد لمواجهة آليات التهميش التي تحيط بها، ترفض أن تُختزل إلى ضحية خاملة ، متحولة بدلاً من ذلك إلى نموذج نقدي يتحدى الأطر التقليدية ويكشف زيف الخطاب الأخلاقي الذي يدّعي حماية النساء، بينما يمارس عليهن القمع بأشكال مختلفة .

3-يونس مارينا (المنقف المضطهد):

يمثل نموذج المثقف المضطهد تجسيداً فنياً عميقاً للصراع القائم بين الفرد الواعي والسلطة المستبدة ، صراع يخوضه المثقف لأجل إثبات الحقيقة أحياناً كما فعل غاليليو غاليليو، Galileo Galilei، الذي عد نموذجاً بارزاً لصراع المثقف في القرن السابع عشر حينما سعى لكشف الحقائق العلمية حول الكون، مستخدماً التلسكوب لتأكيد أن الأرض تدور حول الشمس ، فهذا الاكتشاف كان تحدياً كبيراً للنظرية الكنسية السائدة في ذلك الوقت ،و التي كانت تعتبر الأرض مركز الكون ، ليواجه عقب ذلك مقاومة شديدة من الكنيسة الكاثوليكية، التي رأت في أفكاره تهديداً لعقائدها ، مصدرة في حقه تهمة الهرطقة (1633)، والتي حُكم بسببها وأُجبر على التراجع عن آرائه.

فهذا النموذج الذي ألهم العديد من المثقفين من مختلف المجالات العلمية من مثل ألبرت أينشتاين Albert Einstein؛ الذي واجه مقاومة في البداية عند طرح نظريته النسبية والتي غيرت فهمنا للزمان والمكان، ونيكولا تسلا Nikola Tesla؛ الذي عارض بعض الأفكار التقليدية في مجال الكهرباء وقدم ابتكارات غيرت مسار التكنولوجيا ، قد ألهم بدوره النقاد و الأدباء أيضاً نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر الروائية البريطانية Doris Lessing دوريس ليسينغ ؛ التي احتفت بهذا النموذج في العديد من رواياتها بعد أن صرحت في أكثر من لقاء بأنها قد : "صنعت يوتوبيا خاصة لنفسها كان الأدب جزءاً منها وأنها أرادت أن تقول للعالم ماذا لو جعلنا الظلم والفقر والحرب أمورا مستحيلة ؟" (20)، وكأنها تتخذ من الكتابة الإبداعية سبيلاً لمناهضة جميع الأوضاع غير الإنسانية ، كما هو الحال مع رواية أصابع لوليتا التي نجد بأن صاحبها قد اختار لأجل هذه المهمة كاتباً روائياً أطلق عليه اسم يونس مارينا ، جاعلاً منه نموذجاً للمثقف المضطهد الذي وجد أن حياته في خطر بعد قليل له ذات يوم بأن هناك من يريد قتله ،ولهذا فعليه مغادرة البلاد، ولعل المقطع النصي الآتي يوضح لنا حقيقة اهتمام واسيني الأعرج باستحضار وتوظيف

هذا النموذج الإنساني: "قرأت في إحدى الصحف الوطنية، قبل أن يفتوا بقتلك، وجدوا شبهها بينك وبين سلمان رشدي وابن المقفع، حتى أن بعضهم طالب بخطفك ووضعك على طاولة طويلة" (21)

فكما هو مبين في المقطع النصي، يشير واسيني الأعرج إلى التشابه الكبير بين كل من يونس مارينا وسلمان رشدي وابن المقفع في كون الثلاثة قد مثلوا نموذج المثقف المضطهد و يجسدون صراعه المستمر ضد السلطات الاجتماعية و الدينية التي كانت تستبد الإنسان وتحرمه من حقوقه وحرية ، كما وتحرمه من قدرته على التفكير و النقد وإن هو حاول في لحظة ما أن يكسر تلك القيود وجد نفسه منفيا أو مهددا بالقتل كما هو الشأن بالنسبة ليونس مارينا ذلك المثقف المدان دون أن يعرف ماهي جريمته حتى كما يظهر ذلك في المقطع النصي الآتي: "أية جريمة ارتكبتها قبل أربعين سنة عندما كتبت مقالا [...] كنت شابا وتظن أن الكلام والحقيقة أصدقاء، فوجدت نفسك في باخرة مليئة بالسلع والفئران، تقطع موانئ المتوسط ومساحات لا تنتهي من الخوف". (22)

وقد باتت حياته مهددة أكثر بعد صدور روايته الموسومة بعرش الشيطان، وهي رواية نالت ما نالته من الشهرة والاهتمام حسب قول مؤلفها بسبب "لحظة هاربة لاخترق سرية القرآن اللذيذة" (23)

ولعل هذا المقطع النصي لا يصف معاناة يونس مارينا فحسب، بل ينقلنا أيضًا إلى فترة تاريخية حاسمة في تاريخ الجزائر، وهي العشرية السوداء، التي شهدت اضطرابات سياسية وأمنية عميقة أثرت على كل جوانب الحياة الاجتماعية، وبهذا فإن الرواية تقدم هنا سردًا نقديًا يعكس البنى السلطوية والقمعية التي شكلت الواقع الجزائري في تلك الفترة فالمثقف في ظل هذا السياق لم يكن مجرد شاهد محايد، بل كان فاعلاً ضمن منظومة القمع

والاضطهاد، يواجه الإقصاء والنفي والتهديد بالموت، وهو ما يحيل إلى مفهوم المثقف العضوي الذي تحدث عنه أنطونيو غرامشي (Antonio Gramsci).

4. خاتمة:

نجد إذن في ختام هذه الدراسة بأن توظيف النماذج الإنسانية في كتابات واسيني الأعرج قد لعب دورا بارزا في الارتقاء بتجربته الإبداعية إلى مصاف العالمية ، فقد أسهمت هذه النماذج وخاصة في روايته الموسومة بأصابع لوليتا ، في إبراز قضايا إنسانية عميقة ومعقدة ، لم تقتصر على تمثيل السياق الجزائري المحلي، بل حملت أبعادًا إنسانية شاملة، تتجاوز حدودها الجغرافية والثقافية لتصل إلى عمق المشترك الإنساني .

فالنماذج التي استحضرتها في روايته لم تكن مجرد أبطال روائيين تقليديين، بل كانت شظايا من الواقع على غرار نموذج لوليتا الذي عكس معاناة المرأة العربية المعاصرة في ظل الهيمنة الذكورية التي مازالت تفرض قيوداً اجتماعية وثقافية عليها، فتظهر لوليتا كرمز للضحية التي تتأرجح بين الحلم والواقع، بين التحرر والانكسار، ومن خلال شخصيتها، يكشف الأعرج عن الصراعات الداخلية التي تواجهها المرأة في مجتمع يخضع للسلطة الذكورية ، فهذه الثنائية بين الضعف والقوة تمنحها بُعداً ديناميكياً، يعكس طموحات المرأة العربية في مواجهة تحديات العصر وإعادة تشكيل دورها في المجتمع.

من ناحية أخرى تبرز شخصية مجدولينا كمرأة جريئة وقادرة على تجاوز التصنيفات التقليدية لـ"المومس" ، فهي حسب وجهة نظر الروائي واسيني الأعرج مجرد إنسانة طيبة و مرهفة الحس ألقت بها الأعراف المتمزعة إلى الهامش الاجتماعي.

أما يونس مارينا بطل هذه الرواية فيصور من خلاله واسيني الأعرج نموذج المثقف المضطهد الذي لطالما عانى من التهميش والإقصاء بسبب أفكاره النقدية والمغايرة، فضلا

عن تصويره الصراع القائم بين الرغبة في التغيير وتحقيق العدالة وبين ضغوط المجتمع الذي يرفض التغيير ويصنّفه كتهديد. في ظل ظروف قمعية، يظل يونس ملتزمًا بمبادئه، لكنه في الوقت نفسه يواجه عواقب هذه الالتزامات، مما يجعله شخصية معزولة ومجبرة على التعايش مع الاغتراب الفكري إلى جانب الجسدي.

هوامش البحث :

- (1) ميساء سليمان الابراهيم : البنية السردية في كتاب الامتاع (دراسات في الأدب العربي)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، مكتبة الأسد، دمشق ، 2014، ص 206 .
- (2) سيف محمد سعيد المحروقي : نماذج إنسانية في السرد الأدبي العربي القديم ، دار الكتب الوطنية ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، المجتمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات ، ط1. ص 13-12.
- (3) أحمد رضا حوحو: نماذج البشرية ، مؤسسة هنداوي ، 2014، ص 9.
- (4). ينظر محمد الأمين بحري: النموذج الإنساني في السرد العربي أو رأس المال المهدور، موقع <https://www.alquds.co.uk> تاريخ 2024/11/20. سا 1:57.
- (5) المرجع نفسه .
- (6) ينظر محمد بكادي : أثر توظيف النماذج البشرية في حركة التواصل بين الأدب العربي ، ومختلف الآداب العالمية ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ، مجلد 8 ، عدد : 1 ، السنة 2019. ص 14.
- (7) ينظر : محمد غنيمي هلال : النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة ، دار النهضة ، القاهرة ، مصر ، 2007، ص 86.
- (8) ينظر : محمد بكادي : أثر توظيف النماذج في حركة التواصل ، مرجع سابق، ص 22.
- (9) المرجع نفسه ، ص 22
- (10) واسيني الأعرج: الرواية العربية ؛ سؤال التخييل والنقد ، موقع : <https://www.atheer.om/archive/611750> تاريخ 2024/10/18 سا 12:33.
- (11) ينظر : قرقوى بدر : لغة السرد في رواية الأمير لواسيني الأعرج ، مجلة النص ، المجلد 8 ، العدد 1 ، 2021، ص 66.
- (12) قط مروان ، مختاري فاطمة : جمالية التجريب في رواية مملكة الفراشة للروائي واسيني الأعرج ، مجلة النص ، المجلد 9، العدد 3، 2022، ص 260.
- (13) فلاديمير نابوكوف : لوليتا ، ترجمة علي مولا ، دار اسامة ، دمشق ، سوريا ، ص 54.

- (14) واسيني الأعرج: أصابع لوليتا، الصدى للصحافة والنشر والتوزيع ، ص 264.
- (15) واسيني الأعرج : أصابع لوليتا ، مصدر سابق ، ص 54.
- (16) فلاديمير نابكوف : لوليتا ، مرجع سابق ، ص 234.
- (17) واسيني الأعرج : أصابع لوليتا ، ص 274، 275.
- (18) واسيني الأعرج : أصابع لوليتا ، مصدر سابق ، ص 72.
- (19) المصدر نفسه ص 79

(20) علي حسين : دوريس ليسينغ المتمردة، ينظر : <https://kitabab.com> 10:20 تاريخ 02/11/2024

(21) واسيني الأعرج: أصابع لوليتا ، ص 36

(22) المرجع نفسه ، ص 37.

(23) المرجع نفسه : ص 17

قائمة المصادر المراجع:

مصادر:

واسيني الأعرج: أصابع لوليتا، الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، ط1، 2012.

فلاديمير نابوكوف: لوليتا، ترجمة علي مولا، دار اسامة، دمشق، سوريا.

مراجع :

أحمد رضا حوحو: نماذج البشرية، مؤسسة هنداوي، دط، 2014.

أمينة الشريف، عمارة بوجمعة: النموذج البشري في الدراسات المقارنة من خلال كتاب "الأدب المقارن"

لمحمد غممي هلال، مجلة النص، جامعة سيدي بلعباس، 2023.

سيف محمد سعيد المحروقي: نماذج إنسانية في السرد الأدبي العربي القديم، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو

ظبي للثقافة والتراث، المجتمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات، ط1.

محمد بكادي: أثر توظيف النماذج البشرية في حركة التواصل بين الأدب العربي، ومختلف الآداب العالمية،

مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 8، عدد: 1، السنة 2019.

محمد غنيمي هلال: النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة، دار النهضة، القاهرة، مصر، 2007.

ميساء سليمان الابراهيم: البنية السردية في كتاب الامتاع (دراسات في الأدب العربي)، منشورات الهيئة

العامة السورية للكتاب، مكتبة الأسد، دمشق، 2014.

مجلات :

قرقوى بدر : لغة السرد في رواية الأمير لواسيني الأعرج ، مجلة النص ، المجلد 8 ، العدد 1 ، 2021.

قط مروان ، مختاري فاطمة : جمالية التجريب في رواية مملكة الفراشة للروائي واسيني الأعرج ، مجلة النص ، المجلد 9، العدد3، 2022.

مواقع :

علي حسين : دوريس ليسينغ المتمردة : <https://kitabab.com> 10:20 تاريخ 02/11/2024.

محمد الأمين بحري: النموذج الإنساني في السرد العربي أو رأس المال المهدور، موقع <https://www.alquds.co.uk>، تاريخ 20/11/2024 الساعة 1:57.

واسيني الأعرج: الرواية العربية؛ سؤال التخيل والنقد، موقع: <https://www.atheer.om/archive/611750>، تاريخ 18/10/2024 الساعة 12:33.